د.خنساء دياب ود. يهودا بار شالوم *

ضيوف في الساحة أم شركاء في البيت؟

مواقف محاضرين وطلاب عرب فلسطينيين في كليات التربية في إسرائيل

يعدّ الفلسطينيون في إسرائيل أقلية قومية فريدة من نوعها، ذلك أنّها وقبل كل شيء قد تحوّلت من أغلبية إلى أقلية على أرضها بين عشية وضحاها (كوهين ٢٠٠٠: ٣٥، موريسط ١٩٩١: ٣٩٧ – ٣٩٩) كما وأنّها لا تشكّل أقلية مهاجرين خلافًا للعديد من الأقلّيات في العالم وإنّما أقلية أصلانية؛ أي من أبناء البلد الأصليين. أضف إلى ذلك أن الفلسطينيين في إسرائيل مواطنو دولة تعيش حالة صراع مع أبناء شعبهم الفلسطيني بالذات ومع أمتّهم العربية إجمالاً. تتعامل الحكومة والأغلبية اليهودية في إسرائيل مع الأقلية الفلسطينية على أنها معادية لهما حيث تُعتبر "طابورًا خامسًا". أمّا المميّز الثالث للفلسطينيين في إسرائيل كونهم مواطني دولة تعرّف نفسها بأنها دولة اليهود وليست دولة جميع مواطنيها، حيث تنتهج ضدهم سياسة التمييز والحرمان في كافة المجالات والميادين تقريبًا لتجتمع كل هذه العوامل وغيرها في زيادة وتعقيد مشاكل الهوية التي تعاني منها هذه الأقلية القومية (سموحة، ١٩٩٤، ميعاري، ١٩٨١).

تتعرّض الأقلية العربية في إسرائيل للإقصاء والتهميش (الحاج، ٢٠٠٧، سليمان ٢٠٠٤) حيث يعيش ٥٠ بالمائة من العرب تحت خط الفقر ويزداد القلق من التداعيات المترتبة على مواجهة هذه المجموعة السكّانية للضغط المستمرّ نتيجة لهذه الظروف. (الحاج،٢٠٠٧). إن العرب الفلسطينيين في إسرائيل الذين كثيرًا ما يدفعون نحو تطوير "هوية مهمشة" يعرفون أنفسهم أكثر فأكثر على أنّهم فلسطينيون وفي الوقت

* محاضران في كلية ديفيد يلين

ذاته يرغبون في البقاء في دولة إسرائيل حتى في حال ولادة الدولة الفلسطينية مع التمتّع بالحقوق المتساوية والاعتراف بهويتهم الثقافية (الحاج،٢٠٠٧).

تتعامل الأغلبية اليهودية مع الأقلّية العربية من منطلق الاستثناء والإقصاء وهو ما يؤول إلى الآراء المقولبة السلبية في أحيان كثيرة وحتى نزع صفة الإنسانية عن أفراد هذه الأقلّية (سليمان، ٢٠٠٤). يمكن القول بشكل عام إنّ سوء التمثيل العربي في مواقع القوة داخل المجتمع الإسرائيلي يلقى تعابير متفاوتة له.

العرب والتعليم العالي

تبقي المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية العرب مهمَّشين وإن حصل بعض التحسن في هذا المجال منذ ولادة الدولة العبرية العام ١٩٤٨، مع العلم أنّ العرب في إسرائيل يشكّلون حولي ١٦ بالمائة من عدد السكّان إلاّ أن نسبتهم في صفوف الطلبة غير الخريجين (البكالوريوس) لا تتعدى ٩ بالمائة ولا تبلغ نسبتهم من طلبة الماجستير سوى ٣،٥ بالمائة فيما يشكّلون نسبة ١،٢ بالمائة لا غير من طلبة الدكتوراه. كما وأن نسبة العرب من ضمن ستة آلاف محاضر في الجامعات الإسرائيلية تبلغ ١،٢ بالمائة فقط. بكلمات أخرى نرى فجوة تبلغ خمسة عشر ضعفًا ما بين حصة التمثيل الحقيقية للعرب أعضاء الطاقم المهني في المؤسّسة الأكاديمية، وبين عددهم الأمثل الذي يتناسب مع تمثيلهم النسبي في المجموع السكاني.

توازي حالة العرب في مؤسسات التعليم العالي إلى حدّ كبير ما يلاقيه المواطن العربي من معاملة غير متساوية بالإجمال، الأمر الذي يلقى تعبيرًا له في الموارد الشحيحة المخصّصة لجهاز التعليم العربي مقارنة بالجهاز ذاته في الوسط اليهودي. يحصل الطالب العربي على ساعات دراسية أقلّ واستثمار أقلّ في المدارس وصيانتها إضافة إلى العدد القليل من مواقع النفوذ التي يحتلّها العرب في وزارة التربية والتعليم (جولان – عجنون، ٢٠٠٤).

لا يتمتّع خريجو الجامعات العرب إلاّ بفرص عمل محدودة وعادة ما يجدون العمل في قراهم أو في المحيط القريب ولا يفسح تأهيلهم الأكاديمي أمامهم أية فرصة متساوية مع أندادهم اليهود. ذلك أن العديد من فرص العمل تبقى مغلقة أمام العرب بسبب اعتبارات أمنية (الحاج، ١٩٩٦). يجد العديد من العرب أنفسهم محشورين في العمل في مجال التعليم نظرًا لإغلاق مجالات أخرى بوجوههم بحيث تبلغ نسبة العرب المنخرطين في جهاز التعليم ٣٨،٧ بالمائة من بين خريجي الجامعات مقارنة مع ١٥،٣ من أندادهم اليهود. كما يجد العديد من الخريجين العرب أنفسهم في مهن الياقات الزرقاء فيما يقتصر إشغالهم لمناصب الخدمة المدنية على نسبة ٥،٨ بالمائة لا غير. ورغم حقيقة أن العرب يشكّلون ٢٠ بالمائة من إجمالي عدد الطلاب ويعمل ٣٩ بالمائة من الأكاديميين العرب في مجال التربية، إلاّ أنّ ٣ بالمائة فقط من المناصب العليا في وزارة التربية والتعليم يشغلها عرب (الحاج، ١٩٩٦، أغبارية، ٢٠٠٧). أمّا بالنسبة لمناصب التعليم فالخريج العربي يجد نفسه في منافسة على الوظائف الوحيدة الشاغرة وهي في مجال التعليم الابتدائي والثانوي في مدينته، ممّا قد يعدّ السبب وراء توجّه العديد من الطلاب العرب للدراسة في كلية المعلّمين اعتبارًا منهم أن مهنة التعليم في وسطهم هي الاحتمال شبه الوحيد والأكثر توفّرًا وواقعية.

أعضاء الطاقم والطلاب العرب في كليات المعلّمين

ترسم المقارنة بين عدد أعضاء طاقم الموظّفين العرب في كليات التربية والجامعات صورة إيجابية لأنّ أعضاء الطاقم العرب في الكليات أكثر تعدادًا منه بالجامعات ("بار شالوم"، دعاس، "بيكرمان"،٢٠٠٧). كما ونجد عددًا أكبر نسبيًا من الطلاب العرب مع فارق واضح لصالح الطلاب، أكثر منهم عدد أفراد الطاقم. يتناول هذا المقال أوضاع ٥١ بالمائة من الطلاب العرب الذين يتعلّمون في مؤسّسات ذات أغلبية يهودية[1] تبلغ نسبتهم فيها ٢٧ بالمائة من إجمالي عدد الطلاب، حيث يدرس معظم الطلاب العرب في مسارات التعليم العربية في هذه الكليات فيما تدرس الأقلية منهم في مسارات اليهودية باللغة

يتوخّى العديد من الطلاب العرب جانب الحيطة فيما يتعلّق بتفوّهاتهم العلنية ويعود السبب في ذلك إلى حضارة الصمت التي تفرضها عائلاتهم من جهة، والجهاز التعليمي الذي لم يسمح لهم بطرح أسئلة حول روايتهم الفلسطينية وهويتهم الوطنية، من جهة أخرى

العبرية مع الطلاب اليهود (أغبارية، ٢٠٠٧).

يمكن التمييز بين نوعين من المؤسسات اليهودية، يشمل الأوّل كليات المعلمين الكبرى وفيها تأسّس مسار التعليم العربي من أجل التجاوب مع احتياجات السكّان العرب، لا سيما فيما يتعلّق بتعليم المواد الدراسية باللغة الأم. أمّا النوع الثاني فيشمل كليات المعلّمين التي لا تتوفّر فيها هذه المسارات. على سبيل المثال ازداد عدد الطلاب العرب في كلية "أحفا" الواقعة في الجنوب بعد إنشاء مسار خاص للطلاب البدو يتم التعليم فيه بالعربية وجميع أعضاء الطاقم فيه عرب وبضمنهم بروفسور، ويمكن استكمال الدراسة من خلاله مع الطلاب اليهود للحصول على درجة البكالوريوس الأكاديمية في مجال التربية. يشكّل الطلاب العرب ٢٠ بالمائة فأكثر من عدد الطلاب الإجمالي. كذلك تبلغ نسبة أعضاء الطاقم العرب نحو ٢٠ بالمائة. وفي كلية "غوردون" في الشمال يتوفر مسار خاص معظم المشاركين فيه من النساء الدرزيات وتبلغ نسبة الطلاب العرب فيه ٢٠ بالمائة فيما تقارب نسبة أعضاء الطاقم العرب ١٠ بالمائة. وفي كلية "دافيد يلين" في القدس يتوفّر مسار عربي للتربية الخاصة وتبلغ نسبة الطلاب فيها ٢٠ بالمائة فيما يشكّل العرب نحو ١٠ بالمائة من إجمالي طاقم الموظّفين. أمّا كلية "أورنيم" وتقع في الشمال فقد أنشئ فيها مساران خاصان للطلاب البدو يتم التعليم فيهما باللغة العربية ممّا زاد نسبة الطلاب العرب إلى ٢٥ بالمائة من عدد الطلاب الإجمالي و١٠ بالمائة من عدد أعضاء الطاقم. ("بار شالوم"، دعاس، "بيكرمان"، ٢٠٠٧).

تعبّر كل هذه الكليات عن الاعتقاد القائل بعدم فاعلية دور المدرّس البيداغوجي لطلاب التعليم إذا كان المدرّس نفسه لا ينطق بالعربية.

خلافًا لما تقدّم لا يتوفر مسار تعليم عربي في كليات "سمينار هكيبوتسيم" حيث عدد الطلاب العرب فيها قليل جدًا وتتراوح حصتهم بين ٣ و ٥ بالمائة يتركّزون في قسم التربية البدنية ويشكّلون فيه ثلث عدد الطلاب إضافة إلى مسار الدراسة الابتدائية. هؤلاء ليس لهم قدوة يحتذى بها مع العلم أنه لا يوجد حتى محاضر عربي واحد في هذه الكلية بالذات ("بار شالوم"، دعاس، "بيكرمان"، ٢٠٠٧).

ولكن إذا وضعنا كلية "سمينار هكيبوتسيم"[٢] جانبًا نرى تمثيلاً متزايدًا للمحاضرين والطلاب العرب في هذه الكليات التي أنشأت مسارات تعليم عربية الأمر الذي قد يعود إلى المكانة المتدنية لمهنة التعليم والعدد غير المتناسب للعرب الذين يُدفع بهم إلى مجال التربية والتعليم. بيد أن الفحص الدقيق للحقائق يكشف العديد من إشكالات التهميش وعدم الاعتراف الثقافي في كليات المعلمين هذه رغم أعداد العرب الأكبر في الجامعات مقارنة بالمعدّل. نستكشف في هذا المقال كيفية إدراك أعضاء الطواقم التعليمية والطلاب لمكانتهم كمهنيين ومتعلّمين متدربين وذلك من خلال الأسئلة التالية: هل يشعرون بالمساواة؟ هل يشعرون بأنهم جزء من الكلية؟ هل يشعر أعضاء الطاقم بأنّ أمامهم خيارات مهنية مفتوحة ومتنوعة؟ لماذا اختار الطلاب التعليم في كلية معيّنة بالذات؟ في بحثنا سوف نحاول توفير بعض الأجوبة على هذه التساؤلات.

كلية "كورازيم"[٣]

تقع كلية "كورازيم" في وسط إسرائيل حيث تحتضن مجموعات طلابية متعدّدة الثقافات مع العلم أن المحاضرين والطلاب على حدّ سواء ينحدرون من شعبين مختلفين (العربي واليهودي) ومن ديانات مختلفة (اليهودية والإسلامية

درس في العربية

والمسيحية والدرزية) وكذلك من مشارب حياتية متنوعة من متديّنين وعلمانيين وسكّان مدن وقرى وبلدات تطويرية ويهود شرقيين وغربيين (الاشكناز). يأتي بعض الطلاب من عائلات عاشت في البلاد على مرّ أجيال فيما هاجر بعضهم الآخر من اثيوبيا وروسيا وفرنسا والأرجنتين.

يشكّل الطلاب العرب ٢٥ بالمائة من إجمالي الطلاب إلاّ أن نسبتهم في الهيئة التدريسية لا تتعدّى ٩ بالمائة؛ ينحصر عمل معظمهم في إطار المسار العربي الخاص مع الإشارة إلى أنّ درجاتهم العلمية العليا، التي يحصلون عليها عادة في المؤسسات الإسرائيلية، تسمح لهم بتعليم موضوعات تخصصهم باللغة العبرية. بعكس ذلك يعمل العديد من المعلّمين اليهود في المسار العربي دون معرفة اللغة العربية.

قامت الكلية ببعض المحاولات وبذلت الجهود المتفرّقة سعيًا لتحسين العلاقات بين العرب واليهود في الكلية بما فيها مجموعة حوار يشارك فيها أعضاء الطاقم. وكانت الانتفاضة المحفّز وراء المبادرة إلى تشكيلها. بينما حقّقت المجموعة بعض الاستفادة بما في ذلك إنشاء دورة جديدة حول التربية المتعدّدة الثقافات، إلاّ أنّه وكما يحدث في العديد من الأحيان انتابت خيبة الأمل الأعضاء العرب، لأنّهم شعروا أن المجموعة لم تحقّق سوى الحديث بدلاً من التحسن الملموس، أو بكلمات أخرى شعر العديد من أعضاء الطاقم العرب أنّ الكلية ليست بالفعل بيتًا لهم.

يتوخّى العديد من الطلاب العرب جانب الحيطة فيما يتعلّق بتفوّهاتهم العلنية ويعود السبب في ذلك إلى حضارة الصمت التي تفرضها عائلاتهم من جهة، والجهاز التعليمي الذي لم يسمح لهم بطرح أسئلة حول روايتهم الفلسطينية وهويتهم الوطنية، من جهة أخرى. أقام بعض أعضاء الطاقم العرب مشاريع بحث إجرائية كان الهدف منها مواجهة هذه السلبية لدى الطلاّب العرب ومحاولة تشجيعهم على المطالبة باسترداد روايتهم الفلسطينية الضائعة.

منهج البحث وأهدافه

تعكس دراسة الحالة هنا مفاهيم أعضاء الطاقم والطلاب العرب في كلية "كورازيم" التربوية عبر ترجمة تأويلية قام بها باحثان، عربية ويهودي. يمكن النظر إلى دراسة الحالة على اعتبار أنّها تستوفي الشروط الأساسية الثلاثة للمنهجية النوعية والمتمثّلة بالوصف والفهم والشرح (تليس، ١٩٩٧) أو بكلمات أخرى، لا ندّعي بأن النتائج التي سنعرضها هنا تعدّ وصفًا ومساعدة في فهم وشرح وضع أعضاء الطاقم والطلاب العرب في كليات معلّمين أخرى غير "كورازيم"، ولكن تجربتنا المهنية ومعرفتنا في هذا المجال تجعلنا نؤمن بأن إجراء المزيد من الدراسات في غيرها من كليات المعلّمين المختلطة من شأنها أن تؤول إلى نتائج مشابهة.

كان مصدر معطياتنا الرئيسي إجراء الحوار التحادثي (conversational dialogue) مع أعضاء الطاقم والطلاب في كلية كورازيم رافقته مقابلات تحادثية مع أعضاء طاقم وطلاب أجريت خلال المشروع البحثي هذا.

أجرينا المقابلات مع خمسة محاضرين عرب ولقاءات مع مجموعات تركيز تشكّلت من مجموعتين طلابيتين مختلفتين إحداهما تألفت من عشرة طلاب في العام الدراسي الثالث في الكلية والثانية من خمسة عشر طالبًا في العام الأخير من دراستهم في الكلية.

ونسعى من خلال الأفكار التالية إلى خلق جيل جديد من الخطاب أملاً في أن يسهم في إحداث التغييرات ليس داخل كلية "كورازيم" فحسب بل داخل العالم الأكاديمي والمجتمع الإسرائيلي بشكل عام.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن شعور أعضاء الطاقم والطلاب العرب بصفتهم أقلية في كليات المعلمين ذات الهيمنة اليهودية في إسرائيل ،وسنقدم ما توصّلنا إليه من نتائج في الفصل القادم.

النتائج

الطلاب العرب في "كورازيم" – الشعور العام

سألنا الطلاب العرب حول شعورهم العام كطلاب في كورازيم لنجد توجه "**رغم كل شيء شعوري جيد**" إذ سمعنا العديد من الطلاب يقولون خلال المقابلات إنّهم يتمتعون بقضاء الوقت في الكلية "بعد الموازنة والحساب العام".

تفاعلاتي مع اليهود قليلة... ولكنّي أحبّ المكان بشكل عام

أتمتع بكامل الحقوق هنا مع أنّني أشعر بالعنصرية أحيانًا

أشعر بتحقيق تطور هنا سواء كإنسان وكطالب

شعوري طبيعي وأنّني جزء لا يتجزأ من هذه الكلية

شدّد البعض الآخر على الشعور بالاغتراب:

أشعر بالاغتراب وأن لغتي لا تُسمع ولا أرى نفسي ممثّلاً خلال المراسم.

لا تختلف الكلية عن غيرها من المؤسّسات اليهودية حيث عليك أن تناضل من أجل الحصول على حقوقك

من الواضح أنّهم يفضّلون الطلاب اليهود وأنا أشعر كإنسان من الدرجة الثانية

لا تتعامل الإدارة إلاّ مع الطلاب اليهود

وصف الكثيرون مساق التعليم العربي بأنّه "واحة العقل السليم":

بفضل وجود المسار العربي أنسى أحيانًا أنّها كلية يهودية.

أشعر وكأني في بيتي بين أهلي عندما أتواجد بين الطلاب والمحاضرين العرب.

لو كنت أستطيع التعلم مع اليهود. كنت سأشعر حينها بالضياع

افتخر بالمساق العربي لأنّه أحسن المسارات في الكلية.

بالنسبة لي فإن الكلية تتجسّد كلها بالمسار العربي.

التواجد المشترك لأوّل مرّة مع اليهود

ذكر بعض المعلّمين الفلسطينيين القدامى من شرقي القدس أن الاختلاط لأوّل مرّة مع المعلمين اليهود كان بالنسبة لهم تجربة إيجابية حيث قالوا:

لم أتعلّم سوى مع العرب من قبل والتعليم مع اليهود مثير للاهتمام

أستمدّ القوة بل وتكسبني تجربة التعّرُّف على اليهود وثقافتهم بعدًا جديدًا. في البداية واجهت الصعوبات بسبب اللغة العبرية ولكن الآن تدبّرت أمري واتواصل جيدًا مع اليهود.

نرى أيضًا الاختلاف في وجهات النظر بين الطلاب الجدد والطلاب القدامى من شرقي القدس حيث يبدو أفراد المجموعة الأولى أكثر استعدادًا لخوض اللقاء مع الآخر اليهودي مقارنة بالمجموعة الأخرى وأن اللقاء بالنسبة لهم أقلّ تهديدًا.

بالإضافة إلى ذلك، اشتكى طلاب كثيرون من قضية اللغة التي وضعت على ما يبدو حاجزًا هائلاً في طريقهم (والمقصود الصعوبات التي كانوا يواجهونها مع اللغة العبرية).

إنه صعب للغاية خاصة عندما عليك التحدّث مع الطاقم الإداري

أنا منزعج جدًا لأن بعض الدورات تم تقديمها باللغة العبرية ممّا أثر على علاماتي

التفاعلات مع الطلاب وطاقم الموظّفين اليهود

عندما سئل الطلاب بشكل عام حول كيفية تعامل اليهود معهم (من طلاب وموظّفي الإدارة) جاءت أجوبتهم متفاوتة:

لم أشعر بتعامل مختلف

علاقات العمل معهم كانت دائمًا جيدة

لا أشعر بالعنصرية

أشعر بأن تعامل الإدارة معنا جيد لأنّهم وأخيرًا قد استوعبوا أنّهم يعملون خدمةً لنا

من جهة أخرى يقدّم البعض صورة سلبية للغاية:

إنّهم (اليهود) يتصرّفون وكأنّهم يملكون الكلية. إنّهم (الطلاب اليهود) لا يريدون فعلاً أي علاقة معنا. تبقى مناسباتهم اليهودية الخيار الوحيد للاحتفال به في الكلية وكأنّه لا توجد أية مناسبة عربية وطنية كانت أم ثقافية أم دينية.

من الصعب أن تكون اللغة العبرية وجميع الأعياد اليهودية هي المهيمنة.

يتعامل طاقم الموظّفين معنا المعاملة ذاتها التي يتلقاها العرب من أية مؤسّسة إسرائيلية.

كوني عربي أشعر بأنّه تتم مراقبتي بعيون ساهرة وعلى مدار الوقت.

صحيح أنّنا وجدنا أصواتًا أخرى أشارت إلى لقاءات إيجابية مع الطلاب وطاقم الموظفين اليهود، ولكنّه يبدو أن أغلبية الطلاب العرب الذين تمت مقابلاتهم تحدّثت عن تجارب سلبية للغاية من خلال تفاعلهم مع اليهود.

الطلاب العرب الفلسطينيون والمحاضرون اليهود

خلافًا للنتائج المذكورة في الفصل السابق تفاجأنا بوجود إحساس إيجابي على العموم تجاه التفاعلات بين الطلاب العرب الفلسطينيين والمحاضرين اليهود، خلافًا لبعض المحاضرين العرب الذين يعتبرهم الطلاب قمعيين ويسيؤون معاملتهم.

كانت علاقة جيدة تربطني بهم (المحاضرين اليهود) إذ أنهم يعاملونني أفضل من المحاضرين العرب وهم أكثر استعدادًا للإصغاء إلي ومساعدتي ممّا زادني تمكينًا ومشاركةً في دروس المحاضرين اليهود.

كوني طالب مللت المحاضرين العرب (بعكس اليهود) المنحازين أكثر للطالبات.

يتعامل المحاضرون اليهود معنا معاملة مهنية ورسمية بغض النظر عمّا إذا كنت عربيًا أو يهوديًا.

المحاضرون اليهود يقدمون الدعم ويتحلّون بالصبر.

بعض المحاضرين اليهود صارم وقد يعود الأمر إلى شخصهم.

رغم الصعوبات التي أواجهها مع اللغة العبرية (المتحدث فلسطيني من شرقي القدس) إلاّ أنهم (المحاضرين اليهود) يقدّمون الدعم والتأييد.

بعض المعلمين اليهود رائع بينما المحاضرون العرب لا يأخذون عملهم ولا المسار العربي مأخذ الجد لذا نفضل المحاضرين اليهود.

المحاضر اليهودي يهتم بك ويريد أن يعلم إذا كنت تفهم الموادّ المدرّسة في الصف.

لم نجد سوى طالبين شعرا بالانحياز السلبي من جانب المحاضرين اليهود:

كان بعضهم يتعامل معنا وكأننا طلاب من الدرجة الثانية.

كانت المحاضِرة رائعة وأنا الطالب العربي الوحيد في صفها، ومع ذلك اكتشفت أنّها كانت تعلّم في العام الماضي صفًا من العرب فقط وكانت سيئة للغاية.

وضع الطالب العربي الفلسطيني بنظر المحاضر العربي الفلسطيني

سألنا المحاضرين العرب حول مكانة الطلاب العرب في الكلية فأجابوا ما يلي:

أعتقد أنّنا نقدّم لهم كل ما نستطيع في المسار العربي ولكنهم قد يواجهون العنصرية في أقسام أخرى من الكلية. أعتقد أنهم يشعرون بالعنصرية في بعض الأحيان ممّا يولّد سوء التصرّف الأمر الذي ينجم عنه وصمهم بصورة معيّنة.

لا نعدّ مثلاً جيدًا كقياديين إذ اننا لا نناضل بما يكفي من أجل حقوقهم بوجه المؤسّسة اليهودية في الكلية. عليهم بذل مجهود خمسة أضعاف ليثبتوا أنفسهم إضافة إلى أنّهم لا يرون أنّه يتم التعبير عن لغتهم وعاداتهم، والحقيقة لا يمكن نفيها – إنّها

يتأثر اختيار المهنة في المجتمع العربي بحقيقة أنّ هذا المجتمع تقليدي وأبوي أكثر من مجتمع الأغلبية اليهودية، إضافة إلى الوضع الهامشي الذي تجد الأقلية العربية الفلسطينية نفسها فيه خلافًا للأغلبية اليهودية (حجازي وآخرون، ٢٠٠٤). كرّر الطلاب خلال المقابلات مرارًا أن توجّههم نحو مهنة التعليم جاء قرارًا افتراضيًا بل واتّخذته عمليًا العائلة في بعض الأحيان من منطلق أن عليك أن تصبح معلّمًا "لأنه لم تتوفّر للعرب الفلسطينيين فرص عمل في مجالات أخرى" (دياب وفتيحة، ٢٠٠١،٢٠٠)

مؤسّسة يهودية صهيونية.

أخشى المصارحة في التعبير عن آرائي فيما يتعلّق بالإدارة لأنّي لا أريد فقدان عملي.

الشعور العام كمحاضر عربي فلسطيني في الكلية

عندما سألنا المحاضرين العرب حول شعورهم بشكل عام كان يبدو أنّهم يعكسون المشاعر التي عبّر عنها الطلاب العرب.

دائمًا كان شعوري جيدًا كمحاضر عربي ولكن بعض المحاضرين العرب لم يشاركني هذا الشعور وأظهروا مواقف سلبية تجاهي ربما لأني كنت أحد طلابهم في السابق والآن أنا باحث رائد، ولكن منذ أن أصبحت مديرًا تغيّر كل شيء حيث أشعر أن علي أن أحارب حصولاً على كل طلب صغير لأني عربي.

برأيي علينا تقديم كل ما باستطاعتنا للطلاب لأنّنا أقلية، علينا تمكينهم وعليهم أن يفخروا بعملهم في المدارس العربية.

أثبت نفسي معلمًا كفؤا بالمقارنة مع المحاضرين اليهود لأني اعتبر مثلاً يحتذى به بالنسبة لطلابنا العرب.

اليهود مغرورون ومتغطرسون ولكن عملنا أصعب بكثير.

ينتابني شعور غريب وأنا في غرفة الموظّفين فأنا لست متأكّدًا من نظرة اليهود إلي كما ولا يتواجد غيري من العرب في هذه الغرفة فأشعر مغتربًا ولا أشعر بأنّي جزء من أفراد الطاقم في هذه الكلية. أعتقد بأن أدائي يساوي أداء ٧٥ بالمائة من المحاضرين اليهود على الأقلّ. كانت تقييمات الطاقم جيّدة هذا العام ولنا ما نفخر به.

أعضاء الطاقم يفكّرون مليًا في اختياراتهم المهنية

بعض أعضاء الطاقم العرب من حملة الدرجات العليا يفكّرون في اختيارهم المهني، وآفاق قاتمة بالنسبة للتقدّم مستقبلاً.

محاضرة:

لم يكن أمامي أي خيار آخر، منذ طفولتي وأنا ألعب في الحارة كنت أمثل دور معلّمة أو مديرة. اليوم أشعر بأنّي كنت أفتقر إلى نموذج لمحاكاة أية مهنة أخرى لأن الجميع حولي كانوا معلمين ولم نرَ لا طبيبة ولا مهندسة أو محامية عربية، واليوم أعتقد أني أريد العمل في مجال الإعلام ولقاء أناس كثيرين.

محاضر:

أردت دراسة الصيدلة في إيطاليا ولكنّي ألغيت المشروع قبل سفري بأيام، لم تعجبني الكلية في البداية ولكن بعد الدراسة هنا وبعد أن أصبحت من أعضاء الطاقم أحبّ ما أفعله. أريد تعليم دورة أو اثنتين في الجامعة أيضًا.

محاضرة :

أود أن أعلّم عدّة ساعات في الجامعة... من الأسهل بالنسبة للعربي الحصول على عمل هنا في الكلية لأنّ المنافسة كبيرة في الجامعة والعرب يخسرون دائمًا، وفي نفس الوقت حتى هنا يدفعون بالعرب دائمًا ليصبحوا معلّمين في المسار العربي بغض النظر عن كفاءاتهم. لا أعتقد أن العرب كانوا سيعلّمون في هذه الكلية لولا وجود المسار العربي.

محاضر آخر:

الطالب العربي في المؤسسة الاسرائيلية: أزمة هوية

أن تكون عربيًا في الجامعة يعني أن عليك أن تكون "سوبرمان" وحتّى هناك يستخدمونك كالعربي "النموذجي" وهو ما يجلب عليهم (يقصد الجامعة) المال لأنّهم يظهرون وكأنّهم "ليبراليون".

أحد أصدقائي له قدرات ممتازة ومع ذلك لم يحصل على وظيفة في الجامعة. فكيف يا ترى أصبح معلّمًا في إحدى جامعات ما يعرف برابطة اللبلاب (Ivy league) الأميركية العريقة؟ باعتقادي أن هذه الدولة (إسرائيل) معنية بدفعهم خارجًا.

تشكّل الإفادات المذكورة أعلاه مثلاً على الصعوبة التي يشعر بها العديد من أعضاء الطاقم العرب في كلية "كورازيم" والذين يجدون أنفسهم محاصرين في مأزق، فمن جهة ليس أمامهم أي خيار واقعي عملي لأنّهم يشعرون بأن المسار الجامعي مغلق بوجههم ما عدا بعض "العرب النموذجيين"، ومن جهة أخرى يشعرون في "كورازيم" أنّهم مقيّدون بالمساق العربي حتى لو كانوا يجيدون اللغة العبرية ويتمتعون بالكفاءات.

التعلّم في "كورازيم" كخيار افتراضي

يتأثر اختيار المهنة في المجتمع العربي بحقيقة أنّ هذا المجتمع تقليدي وأبوي أكثر من مجتمع الأغلبية اليهودية، إضافة إلى الوضع الهامشي الذي تجد الأقلية العربية الفلسطينية نفسها فيه خلافًا للأغلبية اليهودية (حجازي وآخرون، ٢٠٠٤). كرّر الطلاب خلال المقابلات مرارًا أن توجّههم نحو مهنة التعليم جاء قرارًا افتراضيًا بل واتّخذته عمليًا العائلة في بعض الأحيان من منطلق أن عليك أن تصبح معلّمًا "لأنه لم تتوفّر للعرب الفلسطينيين فرص عمل في مجالات أخرى" (دياب وفتيحة، ٢٠٠١، ٢٠٠). وبالفعل يستشف من معطيات دائرة الإحصاءات المركزية الإسرائيلية لعام ٢٠٠٦ أنّ العرب الفلسطينيين يشكّلون ٣٠ بالمائة من الجسم الطلابي في كليات المعلمين وهي نسبة تزيد عن نسبتهم من إجمالي عدد السكّان.

فيما يلي تأملات لطلاب عرب حول تجربتهم:

صعوبات القبول للجامعات

موسى:

كنت أنوي دراسة العمل الاجتماعي في جامعة حيفا ولكن النتائج المتدنية التي حصلت عليها في امتحان "سات" لم تسمح بذلك ثم حاولت الالتحاق في الكلية العربية في حيفا ولم أنجح ولكن نتائج "السات" كانت كافية للقبول في "كورازيم" إضافة إلى توصيات حارة حول هذه الكلية من أبناء عمومتي.

طالب آخر:

بدأت دراسة pre – med الطبية في الجامعة ولكنها كانت صعبة للغاية وأنا الطالب العربي الوحيد لذًا فضلت الانتقال إلى الكلية لأن أصدقائي يتعلّمون فيها.

سامية – أرادت سامية أن تصبح عاملة اجتماعية بيد أن عائلتها أرادت لها أن تكون معلّمة فتسجّلت في عدد من كليات المعلّمين ليقع اختيارها في النهاية على "كورازيم". قالت

سامية لنفسها:

حسنًا، أستطيع دائمًا تغيير حياتي المهنية والتحوّل إلى عاملة اجتماعية. أختار مسار التربية الخاصة لأنّ أخواتي الثلاث يدرسن فيه ونقول بشيء من المزاح إننّا سنفتح مؤسّسة خاصة بنا عندما نكبر.

حنان – تحلم حنان فعلاً في أن تصبح مستشارة توجيه وتسير وفقًا للاستراتيجية التالية:

بعد الحصول على شهادة البكالوريوس في التربية هنا سأتعلّم في الجامعة للحصول على شهادة الماجستير في الاستشارة التوجيهية، حينها سيكون أسهل لأنّ علامات البكالوريوس هنا أعلى منها في الجامعة.

طالبة أخرى:

تسجّلت في "كورازيم " لعدم وجود خيار آخر حيث كنت أتعلّم في كلية معلّمين أخرى ليس فيها مسار عربي كما ولم أعد أتحمّل العنصرية ضد العرب هناك، حيث كنت الطالبة العربية الوحيدة في مسار التربية الخاصة ولم أرغب في تعلّمها أصلاً بل أردت دراسة المحاماة ولم يسمح والداي بذلك قائلين إنّ هذه المهنة لا تليق بالسيّدة العربية. كما وأوصى ابن عمّي بالانضمام إلى المسار العربي.

سناء:

دفع بي والديّ نحو اتخاذ القرار بالدراسة في الكلية وأنا ممنونة لهم اليوم لأن مجال التربية الخاصة مطلوب وضروري ويوفّر العديد من فرص العمل.

محسن يقدّم زاوية مختلفة:

كانت عائلتي تقول لي دائمًا إنّني لست صالحًا ولا أساوي شيئًا. جئت إلى الكلية لأثبت لهم أنّي استحق التقدير وأنّي أتمتع بقدرات. لا تجذبني هذه المهنة على الإطلاق ولكني أعلم أن والديّ ينظران إليها بصورة مختلفة.

حالة القدس الشرقية

ينطوي التحاق الطلاب الفلسطينيين من شرقي القدس على قضايا خاصة يجب على المعلّمين الإسرائيليين التعاطي معها. ذلك أنّ المدينة "موحّدة" منذ العام ١٩٦٧ ولكن في الواقع يعيش فيها كيانان ثقافيان جنبًا إلى جنب، يمنَح أحدهما الهيمنة والتفوّق بينما الآخر مهمّش إلى أقصى حدّ. يواجه العديد من الطلاب الذين كانوا يأملون في دراسة مواضيع مختلفة في المؤسّسات الفلسطينية حصارًا فعليًا لا يسمح لهم بدراسة ما يختارونه نظرًا للانتفاضة. يختارون "كورازيم" افتراضيًا إلاّ أن عوامل إضافية تؤثر في زيادة صعوبة أوضاعهم:

مهدي:

وصلت إلى "كورازيم" لأني لم أتمكن من الدراسة في بيت لحم مع العلم أنّه قد تمّ قبولي في برنامج إدارة الأعمال، ولكن الوصول إلى الجامعة لم يعد ممكنًا فأوصى والداي بالانضمام إلى إحدى كلّيات المعلّمين الإسرائيلية، أشعر بأن دراستي هناك قسرية إلى حدّ ما.

عرين "دفعت بها" إلى الكلية والدتها التي تخرّجت هي نفسها من "كورازيم":

أردت تعلُّم الفيزياء في الجامعة العبرية ولكن رفض قبولي. في الحقيقة لا أريد أن أصبح معلّمة.

من جهة أخرى كانت كلية "كورازيم" اختيار زينب الأول:

لم تعجبني الأجواء في المؤسسات الفلسطينية. المستوى هنا جيد ويفسحون أمامك التعلّم باللغة العربية وهو ما لم يتسنّ لي في الجامعة العبرية. لا أعرف العبرية لأني كنت أدرس في مدرسة مسيحية خاصة.

إفادة رنين:

بدأت الدراسة في جامعة بيرزيت للحصول على درجة الهندسة ولكن كل شيء توقف بسبب حواجز الطرق ليقترح والدي أن انتقل إلى "كورازيم".. هكذا ضيعت سنتين في مدرسة الهندسة.. مَن يعلم ربما سأعود إلى هذه المدرسة في يوم من الأيام.

وتقول الطالبة إناس:

كنت أدرس طب الأسنان في الجامعة الأميركية في جنين وواصلت الدراسة حتى خلال السنة الأولى من اندلاع

الانتفاضة حيث استأجرت شقة مع طالبتين أخريين الأمر الذي عارضه والدايَ وأجبراني على الدراسة هنا في "كورازيم" ولم أرغب في أن أصبح معلّمة.

إتّضح لنا من خلال هذا الفصل أن الطلاب ومعظمهم من النساء يشعرون بأنّه تم الدفع بهم نحو مهنة التعليم بعكس إرادتهم في العديد من الحالات، وعلى ما يبدو ثمة عملية جتمعة قوية تؤكّد على الدور التقليدي الرئيسي للمرأة كمقدّمة الرعاية في العائلة (السعداوي ١٩٩٠، إبراهيم، ١٩٩٣، ميري، ١٩٨٦). كما هو الأمر بالنسبة للدراسة التي أجراها الحجازي وآخرون (٢٠٠٤) لم نجد الفوارق في اختيار المهنة بين سكّان القدس الشرقية والفلسطينيين من بقية أنحاء إسرائيل، غير أن أوضاع المجموعة الأولى أصعب من ناحية أن الوضع الأمني حرمهم الفرص والاحتمالات أكثر من أندادهم الفلسطينيين في إسرائيل.

على أعضاء الطاقم المعنيين بتمكين الطلاب الفلسطينيين ورواياتهم وتقوية شعورهم بالانتماء للكلية الأخذ بعين الاعتبار العائق أمام الطالب الأقلّ رضى عن اختياره المهني مقارنة بالمعدّل، وقد يواجه الصعوبات في عملية التفردّن تجاه عائلته وتوقّعات المجتمع العام.

ينطوي تمكين الطلاب على أهمية قصوى لأن غيابه سيشعرهم بعدم الحيلة وفقدان قدرة التحكم بمصيرهم وإحداث التغيير في ثقافة الجهاز التربوي، وهو ما يشكل ضرورة ملحّة في مجال التربية العربية الفلسطينية في إسرائيل.

النقاش

سمعنا أصواتًا متعدّدة خلال المقابلات والمحادثات التي أجريناها عبّرت في بعض الأحيان عن أفكار متناقضة، إذ نشعر بأن الطلاب والمحاضرين العرب الفلسطينيين "يرقصون رقصة متأرجحة" ما بين إحساسهم بالالتزام تجاه المهنة وشعورهم بالانتماء إلى كلية "كورازيم" بشكل عام حيث يشعرون شأنهم شأن غيرهم من مجموعات الأقلية والفئات المستثناة، بأن عليهم بذل جهود مضاعفة من أجل إثبات أنفسهم مقارنة بالأغلبية (Cooper Jackson، ٢٠٠١). في الوقت ذاته كثيرًا ما يناضلون من أجل تحقيق الاعتراف والإقرار في مهنة يبدو أنّها خيارهم الثاني أو الافتراضي بعيدًا عن تطلّعاتهم الحقيقية وأحلامهم المهنية.

وجدنا أيضًا أن اليهود لا يقفون موقفًا أحادي الطابع من العرب الفلسطينيين، بل يبدو أن الفرق نوعي بين الموقف الذي يبديه المحاضرون اليهود إزاء الطلاب العرب الفلسطينيين وبين موقف الموظّفين الصغار والطلاب اليهود منهم، وقد يعود السبب وراء هذه الفجوة إلى حقيقة أن معظم المحاضرين اليهود ينحدرون من أصول غربية ويدعمون على الأغلب عملية السلام بل هم منفتحون على اللقاءات المتعدّدة الثقافات. كما ويمكن تفسير بعض التجارب السلبية التي مرّ بها طلاب عرب مع محاضرين عرب على أساس الإحباط الذي قد ينتاب المحاضر العربي من حياته المهنية وجاءت كخيار الدرجة الثانية تضاف إليه مضاعفة الإشكالية المتمثّلة بعلاقة المعلّم والطالب التي تسود في المدارس العربية المهمّشة. في الإجمال خرجنا من المقابلات بشعور أنّ الطلاب والمحاضرين على السواء غير متأكدين متى تتم معاملتَهم على أساس شمولي أي كطلاب أو محاضرين ومتى يصبح التعامل فرديًا أي على أنّهم عرب، بل يبقى الشعور بوجود عين الرقابة اليهودية حاضرًا ومتكرّرًا في رواياتهم.

تستدعي تقوية الديمقراطية الإسرائيلية اتّخاذ خطوات حثيثة لقاء مشاركة الفئات والمجموعات المستثناة وزيادة تمكينها ممّا يبرز أهمية كليات المعلّمين اليهودية كمؤسسات تحرّك عملية الجتمعة باعتبارها تؤهّل المعلّمين الذين سيؤثرون على الأجيال المستقبلية، وعليه فإن مصلحة كلية كورازيم خاصةً والمجتمع الإسرائيلي بشكل عام تقضي بإعطاء الطلاب والمحاضرين العرب الشعور بأنّهم مرغوب ومرحب فيهم بل وبأنهم من أصحاب الحيز الذي يعيشون فيه والتحكم بقدراتهم المهنية. يجب بذل المزيد من الجهود في سبيل إقامة ورش العمل وانتهاج سياسات تُشعر كل مجموعة ثقافية بأنّها

ممثّلة ومندمجة.

على إدارة الكلية القيام بمجهود جدّي للتعبير تنقل من خلاله تقديرها لعمل المحاضرين العرب وتطرح في الوقت ذاته أسئلة ثاقبة حول مشاعر الاستثناء والاغتراب التي تنتابهم. على المحاضرين في المسار العربي مناقشة كيفية تمكين الطلاب وتحسين التماهي المهني لديهم لا سيّما وأنّهم يمارسون مهنة "اختيرت لهم"، ممّا قد يستدعي خوض المحاضرين العرب عملية معمّقة من محاسبة الذات كمهنيين عرب ربّما لا يعملون في مهنة الأحلام.

كما وينبغي التفكير الجدّي في كيفية تأكيد ثقافة الطلاب وأعضاء الطاقم العرب داخل الكلية. إلى ما تقدّم تضاف حقيقة أن معظم الطلاب هم من الشابات العربيات الأمر الذي يستوجب إعارة المزيد من الاهتمام بقضايا الجندر وتمكين الشابات العربيات من التعامل مع التوتر الناجم عن عملية الجتمعة ما بين عالمين مختلفين.

يتحمل معلّمو الكليات مسؤولية كبيرة تجاه طلابهم العرب بعد أن أصبحوا ثاني أكبر مصدر يوفّر التعليم العالي للعرب، ولهم على ما يفترض أكبر تأثير في مساعدة المفكّرين والمهنيين من الشبان العرب على توليد نظام القيم الخاص بهم في إطار بيئة محمية وحاضنة تسمح لهم بحرية استكشاف هويتهم كعرب وفلسطينيين ومهنيين وقادة شبان مع كل ما ينطوي عليه الأمر من تعقيدات وإشكالات. كما وأن علاقات العمل الجيدة بين الطلاب وطاقم الموظّفين من يهود وعرب من شأنها أن تؤثّر تأثيرًا عظيمًا على المجتمع الإسرائيلي بشكل عام. نشعر أن هذه الطاقات والاحتمالات لم تتحقّق إلاّ جزئيًا في هذه المرحلة الراهنة.

الهوامش

١ . ثمة كليات عربية منفصلة تنطق باللغة العربية.
٢ . وغيرها من كليات المعلمين اليهودية التي لا يتوفر فيها مسار عربي.
٣ . ليس هذا اسم الكلية الحقيقي.

المراجع

Agbaria, A.(2007). Training of Arab teachers in Israel .The Arabic center for law and policy,Nazareth.(in press)

Al Haj, M. (1996), Education amongst the Arabs in Israel. Jerusalem: Magness. (Hebrew)

Al Haj, M. (2007) "Discussion with Arab Leaders" Current opinions of Majid Al Haj posted at the Israel Democracy Institute: http://www.idi.org.il/english/article.asp?id=3221

Bar Shalom, Y, Daas, R, Bekerman, Z. (2007) "Arabs in Israeli Academia" Unpublished Paper.

Carspecken, P. F. (1996) Critical Ethnography in Educational Research; A Theoretical and Practical Guide. New York and London: Routledge.

Cohen, H. (2000), The present absent: The Palestinian refugees in Israel since 1948. Jerusalem: Van Leer Institute. (Hebrew)

Cooper Jackson, J. (2001) "Women middle managers' perception of the glass ceiling" in Women in Management Review. Volume: 16 Issue: 1 Page: 30 – 41

Diab, K and Fatiha, A. (2000). "The teaching profession: Chance mistakes or deep choice". Alkarama 1:7-18. (Arabic)

Diab, K. and Fatiha, A. (2001). "Is there a key to the solution - a realistic view by the teachers". Alkarama 2:17-25. (Arabic)

Freire, P. (1995) Pedagogy of Hope. Reliving Pedagogy of the Oppressed, New York: Continuum

Giroux, H. (1999) "Rethinking Cultural Politics and Radical Pedagogy in the Work of Antonio Gramsci," Educational Theory 49:1, pp. 1-19.

Golan Agnon, D. (2004) "Why are Arabs students discriminated" in Daphna Golan Agnon (ed) Inequality in Education. Tel Aviv: Bavel.

Hijazi, Y, et al (2004) "Career decision-making difficulties among Israeli and Palestinian Arab high-school seniors" in Professional School Counseling 8, 64-72

Meri'e, S. (1986), "School and society in the Arab village in Israel". In: P. Shapira and R. Pereg (Eds.) The sociology of education. Tel Aviv: Am Oved. (Hebrew)

Mi'ari, M. (1981), "The problem of identity amongst the educated Arabs in Israel". In: Hareuven, A. (Ed.), One of every six Israelis. Jerusalem: Van Leer Institute. (Hebrew)

Morris, B. (1991), The birth of the Palestinian refugee problem, 1947-1949. Tel Aviv: Am Oved. (Hebrew)

Sa'dawi, N. (1990). Gender studies in Arab culture. Beirut: Al-Fares.

Smooha, S. (1994), "Arab-Jewish relations in the era of peace" Hamizrach Hachadash, 37:64-78. (Hebrew)

Stake, R. E. (2000). Case Studies. In N. K. Denzin & Y. S. Lincoln (Eds.), Handbook of Qualitative Research (2nd ed., pp. 435-454). Thousand Oaks, CA: Sage

Suleiman, R. (2004) "On the Palestinian Israeli citizens cultural and national identity" in Daphna Golan Agnon (ed) Inequality in Education. Tel Aviv: Bavel.

Tellis, W. (1997) "Introduction to case study" in The Qualitative Report, Volume 3, Number 2, July, 1997. Retrieved: (http://www.nova.edu/ssss/QR/QR3-2/tellis1.html)